مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية

التفضيل والاصطفاء مجالاتها ومنهج العقيدة الإسلامية في فلسفتها

إعداد

د. عبد الرحمن الصبري

أستاذ العقيدة الإسلامية المساعد

كلية التربية والعلوم والآداب بالتربة– جامعة تعز

قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم الفضل والاصطفاء ومجالاته من منظور العقيدة الإسلامية، وفلسفتها له، وقد احتوى على ثلاثة مطالب، المطلب الأول تضمن معنى الفضل والاصطفاء في اللغة والاصطلاح، وأما المطلب الثاني فيتضمن مجالات الفضل والاصطفاء التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، فكانت إحدى عشرة مجالا، وأما المطلب الثالث فتضمن منهج العقيدة الإسلامية في فلسفة التفضيل والاصطفاء، واشتملت على تسع نقاط.

Abstract

The research aims at explaining the concept of Preference and Selection, their domains from the Islamic doctrine perspective and the Islamic doctrine approach to their philosophy.

This research consists of three parts. The first part explores the meaning of Preference and Selection linguistically and idiomatically.

The second part contains eleven fields of Preference and Selection which are considered by the Islamic doctrine through the Holy Qur'an and Sunna.

The third part consists of nine points. It involves the Islamic doctrine approach to the philosophy of Preference and Selection.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فإن الله عز وجل خلق الناس في الحياة لهدف وغاية، وهو تحقيق العبودية لله عز وجل، وللتركيز على هذا الهدف، وشد الناس حوله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وبث الآيات في الأنفس والآفاق، بل رتب على هذا الهدف منزلة الإنسان عند الله عز وجل؛ فمن خلالها يتفاضلون، وبها يتمايزون، ولحكمة معلومة للناس أو غير معلومة ميّز الله عز وجل بعض الناس على بعض بفضائل، وصفات، فمن أدرك الحكمة من اصطفاء الله له وتفضيله على غيره قام بحقها وشكرها فنجا وفاز، ومن جهلها واستخدم فضل الله عز وجل في غير ما وجد له خاب وخسر، بل استخدمها بعض الناس سبيلًا للتعالي، والكبر، فبرزت في المجتمع السلالية، والطبقية، والأمراض القاتلة بأبشع صورها، ولأهمية الموضوع رأى الباحث أن يكون عنوان هذا البحث هو: "**التفضيل والاصطفاء مجالاتها ومنهج العقيدة الإسلامية في فلسفته**"

أهمية الموضوع:

- تعلق الموضوع بعقيدة الإنسان، ومكانته، وكرامته.
- وقوع الخلل في فهم التفاضل والاصطفاء من قبل فئة من الناس داخل المجتمع، مما أدى إلى ظهور نزعات تهدد نسيج المجتمع كالسلالية، والعنصرية، والطبقية، وغيرها.
- كون الموضوع يعزز معنى المساواة التي أرستها عقيدة المسلم.

مبررات اختيار موضوع البحث:

- ربط الناس بالحكم العظيمة من التفاضل والاصطفاء.
- معالجة الفهم الخاطئ للتفاضل والاصطفاء.
- العمل على إزالة الفوارق المصطنعة داخل المجتمعات.

منهجية البحث:

لقد سلك الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ إذ قام باستقراء النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تنص على وقوع التفاضل والاصطفاء لبعض الناس في مزايا مختلفة، ثم بيان منهج العقيدة الإسلامية في فلسفة هذا التفاضل والاصطفاء، مدعما ذلك بأقوال العلماء من المفسرين وغيرهم، وهذا المنهج مناسب لهدف هذا البحث.

الدراسات السابقة:

حسب علم الباحث لم يجد أية دراسة تناولت مثل هذا العنوان كبحث علمي، والله أعلم، مما عزز لدى الباحث القيام بإجراء هذا البحث "**التفضيل والاصطفاء مجالاتها ومنهج العقيدة الإسلامية في فلسفتها**". ويستعرض الباحث محاور هذا البحث على النحو التالي:

المطلب الأول: تعريف الفضل لغة واصطلاحًا:

أولا: التعريف اللغوي: الفَضْلُ في اللغة بمعنى: الفَضيلةُ، وهو ضد النقص والنقيصة[١]، وقد يأتي الفضل بمعنى: **الزيادة، والباقي على الشيء** تقول: فضل الشيء فضلاً زاد على الحاجة، **وقد يراد بالفضل كذلك: الإحسان** تقول: أفضل وتفضل عليه أي: أحسن إليه[٢]. ولابد أن يكون الإحسان ابتداء بلا علة[٣].**وقد يطلق الفضل ويراد به النعمة:** تقول: الفاضلة أي: النعمة العظيمة وجمعه: فواضل[٤].

وتأتي الفضيلة بمعنى: الدرجة الرفيعة في حسن الخلق، وفضيلة كل شيء مزيته أو وظيفته التي تميز بها[٥]، **وفي لسان العرب:** كل ما فُضِّل على شيء فقد شرف[٦]. وأفضل عليه في الحسب والشرف زاد عليه فيهما[٧].

ثانياً: التعريف الاصطلاحي للفضل:

لا يختلف تعريف علماء الاصطلاح للفضل عن تعريف أهل اللغة، فقد عرف العلامة الجرجاني الفضل بأنه: "ابتداء إحسان بلا علة[٨]، وأما الراغب فقال الفضل: "الزيادة على الاقتصاد"[٩]. وعُرِّف كذلك بأنه: "العطاء والنعمة[١٠].

---

[١]– مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاط ، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥م الطبعة: طبعة جديدة،. ح ١ص٥١٧.

[٢] - المصدر السابق ٢ص٦٩٣.

[٣]–المصدر السابق ٢ص٦٩٣ .

[٤]–المصدر السابق ٢ص٦٩٣.

[٥]–المصدر السابق ٢ص٦٩٣ . بتصرف.

[٦]-لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى ،ج٩/ص١٧٠.

[٧]–المعجم الوسيط ٢ص٦٩٣.

[٨]-التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار النشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ١٤١٠، الطبعة: الأولى ج ١ص٢١٥ .

ثالثًا: تعريف الاصطفاء لغة واصطلاحا:

١- **المعنى اللغوي:** اصطفا الشيء: فضله، واختاره، وفي التنزيل العزيز: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (آل عمران: ٣٣)[١١] **أي:** "اختار، وافتعل من الصفوة؛ وهي الخالص من كل شيء"[١٢].

٢- **التعريف** الاصطلاحي: فقد عرف العلماء **الاصطفاء** بأنه "افتعال من الصفوة، وهي ما خلص من اللطيف عن كثيفه ومكدره"[١٣]. وقيل: إن معنى الاصطفاء: طلب الصفوة من كل شيء[١٤].

وقد جاء في القرآن الكريم لفظ الاجتباء مرادفًا للاصطفاء كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) (يوسف: ٦)، قال ابن عباس: "يصطفيك بالبنوة"[١٥]. وقد يكون "اجتباء الله العبد تخليصه إياه بفيض إلهي يتحصل له أنواع من النعم بلاسعي منه، وذلك للأنبياء، وبعض من قاربهم من نحو صديق وشهيد[١٦].

من خلال ما سبق يتضح أن الفضل والاصطفاء نوع اختصاص واجتباء من الله عز وجل بمزية زائدة للإنسان بخلاف أقرانه، نعمة منه تعالى، دون سببٍ للإنسان ابتداءً، وقد يكون سبب الإنسان فيه تهيئة من الله تعالى كذلك لاستحقاق الاصطفاء والفضل، ويتنوع هذا الفضل والاصطفاء بين الناس بناءً على اختيار الله عز وجل، وفي المطالب الآتية بيانٌ لمجالات الاصطفاء والفضل من الله تعالى، وفلسفة العقيدة الإسلامية لها.

---

[٩]-المصدر السابق ج١/ص٥٥٩.

[١٠]-شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين، shamla.com ، ٣ص٣٣٨ .

[١١]-المعجم الوسيط ١ص١٨.

[١٢]- تفسير البغوي، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، ج١ص٢٩٤، بتصرف.

[١٣]-التعاريف ج١:ص٦٩.

١٤-زهرة التفاسي، تأليف: الإمام / محمد أبو زهرة، دار النشر : دار الفكر العربي،١ص١١٩٤ .

[١٥]-زاد المسير في علم التفسير، تأليف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي،shamla.com ،٣ص٤٠٠ .

[١٦]-التعاريف ج١: ص٣٥.

المطلب الثاني: مجالات الفضل والاصطفاء من خلال النصوص الشرعية:

لقد وردت نصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية باعتبار مجالات محددة وقع فيها التفاضل بين البشر، واصطفى الله تعالى بعضًا منهم على بعض لعلة أو لغير علة، وبيان هذه المجالات في الآتي:

المجال الأول: الخلق والتكريم.

لقد ميز الله عز وجل البشر بخلقة سوية حسنة، وفضلهم على كثير من المخلوقات كما قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين:٤) أي: "تعديل بأن خص بانتصاب القامة، وحسن الصورة، واستجماع خواص الكائنات، ونظائر سائر الممكنات"[١٧]. وإضافة إلى الحسن في الخلقة الظاهرة، حلّاه الله تعالى وزينه بالعقل الذي يعدّ أساس كرامته وفضله وشرفه كما قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (الإسراء: ٧٠)، ومعنى كرمنا: "أي: "جعلنا لهم كرماً أي شرفاً وفضلاً، وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال"[١٨].

والتكريم المراد بالآية منه ما يرجع إلى "خلقهم على هذه الهيئة في امتداد القامة وحسن الصورة، وحملهم في البر والبحر مما لا يصح لحيوان سوى بني آدم أن يكون يتحمل بإرادته، وقصده وتدبيره، وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم، والمشارب، والملابس، ومنه ما يرجع إلى "العقل الذي هو عمدة التكليف، وعلة ذلك أن به "يعرف الله، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه، وتصديق رسله"[١٩].

وقد أشار العلامة الآلوسي إلى الفرق بين التكريم والتفضيل في الآية فقال: "إنه تعالى فضّل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية طبيعية ذاتيّة مثل العقل، والنطق، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المديدة؛ ثم إنّه عز وجل عرضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقّة، والأخلاق الفاضلة؛ فالأول هو التكريم، والثاني هو التفضيل،

[١٧]–تفسير البيضاوي، تأليف: عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، ج٥:ص٥٠٧.

[١٨]–الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب – القاهرة، ج١٠:ص٢٩٣

[١٩]– انظر المصدر السابق ج١٠: ص٢٩٤.

فكأنه قيل: فضلناهم بالتعريض لاكتساب ما فيه النجاة، والزلفى بواسطة ما كرمناهم به من مبادئ ذلك"[٢٠].

المجال الثاني: الأفضلية والاصطفاء من خلال المهمة التي خلق من أجلها:

فمن مجالات التفضيل والاصطفاء التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية ما كان من اختيار الله تعالى لآدم وذريته من بعده؛ ليكونوا خلفاء الله تعالى في أرضه كما قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٣٠). اصطفاهم الله وفضلهم على بقية المخلوقات؛ لينالوا هذا الشرف العظيم، والمقصود بالخليفة هنا "من يخلف غيره، وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة، والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام؛ لأنه كان خليفة الله في أرضه، وكذلك كل نبي استخلفهم الله في عمارة الأرض، وسياسة الناس، وتكميل نفوسهم، وتنفيذ أمره فيهم"[٢١].

وليس الاصطفاء المراد بالآية لآدم عليه السلام وحده؛ بل هي له ولبنيه من بعده، وإنما "اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم، كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر أبيها كمضر وهاشم"[٢٢]. وقد يراد بها :"خلافة ممن كان في الأرض قبل ذلك فتعم حينئذ الجميع"[٢٣].

المجال الثالث: التفضيل والاصطفاء بالرسالة والبلاغ عن الله عز وجل.

ومن مجالات التفضيل والاصطفاء: اصطفاء الله من عباده رسلاً إلى الناس؛ لإبلاغهم أمر الله وشرعه كما جاء في قوله تعالى: (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (الحج: ٧٥) أي: "يختار، ويجتبي من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً"[٢٤]. ومنه قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ) (آل عمران: ١٧٩). أي: "وما كان الله ليؤتي أحدكم علم الغيب،

---

[٢٠]–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق: على عبد البارى عطية، دار الكتب العلمية . بيروت،: ١٤١٥ هـ، ، ج١٥:ص١١٨.

[٢١]–تفسير البيضاوي ج١:ص٢٨٠.

[٢٢]–إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ج١:ص٨١.

[٢٣]–المصدر السابق ج١:ص٨١–٨٢

٢٤–تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م. ج١: ص٥٤٦.

فيطلع على ما في القلوب من كفر وإيمان، ولكن الله يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي إليه ويخبره ببعض المغيبات، أو ينصب له ما يدل عليها"[٢٥].

والأساس والمعيار الذي بُني عليه الاختيار أنهم: "يكونون أزكى ذلك النوع وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، والذي اختارهم واجتباهم ليس جاهلاً بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئًا دون شيء، وأن المصطفي لهم السميع البصير، الذي قد أحاط علمه، وسمعه، وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم عن علم منه أنهم أهل لذلك، وأن الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى: (اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (الأنعام: ١٢٤)"[٢٦]. وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) (البقرة: ١٣٠) "أي: اخترناه للرسالة، فجعلناه صافياً من الأدناس"[٢٧] وقيل: "اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق، وأصله اتخاذ صفوة الشيء كما أن أصل الاختيار اتخاذ خيره"[٢٨].

المجال الرابع: التفاضل بين الأنبياء:

ومن مجالات التفضيل والاصطفاء التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية **ما يكون من تفاضل بين الرسل أنفسهم بالرغم أن الله تعالى اختارهم** كما قال تعالى: (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (البقرة: ٢٥٣). والمقصود بالتفضيل هنا "في مراتب الكمال بأن خصصناه حسبما تقتضيه مشيئتنا بمآثر جليلة خلا عنها غيره"[٢٩].

وأما قوله تعالى: "منهم من كلم الله "فهو: "تفصيل للتفضيل المذكور إجمالاً أي: "فضله بأن كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه الصلاة والسلام حيث كلمه تعالى

٢٥- تفسير البيضاوي ج٢:ص١٢١.

٢٦-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج١:ص٥٤٦ .

٢٧- الجامع لأحكام القرآن ج٢:ص١٣٣.

٢٨-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج١:ص١٦٢.

٢٩-المصدر السابق ج١:ص٢٤٦.

ليلة الخيرة...، ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية"[٣٠].

وأكد نوعية التفضيل الإمام ابن عطية بقوله:" نص الله –تعالى– في هذه الآية على تفضيل بعض الأنبياء على بعض، وذلك في الجملة دون تعيين مفضول، وهكذا هي الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنه قال: "أنا سيد ولد آدم"[٣١]، وقال: "لا تفضلوني على موسى"[٣٢]، وقال: " لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى"[٣٣]، وفي هذا نهي شديد عن تعيين المفضول؛ لأن يونس عليه السلام كان شاباً وتفسخ[٣٤] تحت أعباء النبوءة، فإذا كان هذا التوقف فيه لمحمد وإبراهيم ونوح فغيره أحرى، فربط الباب أن التفضيل فيهم على غير تعيين المفضول، وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: خير ولد آدم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم أولوا العزم والمكلم موسى صلى الله عليه وسلم، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آدم أنبي مرسل هو؟ فقال: "نعم نبي مكلم"[٣٥]، وقد تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة، فعلى هذا تبقى خاصة موسى، وقوله تعالى: "ورفع بعضهم درجات"، قال مجاهد وغيره: هي إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه بعث إلى الناس كافة، وأعطي الخمس التي لم يعطها أحد قبله، وهو أعظم الناس أمة، وختم الله به النبوات[٣٦]، إلى غير ذلك من الخلق

٣٠–روح المعاني ج٢ : ص ٤.

٣١- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ج٤/ص١٧٨٢، كِتَاب الْفَضَائِلِ، باب بَاب تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا ﷺ على جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، برقم ٢٢٧٨.

٣٢- ذكره البيهقي في شرح معاني الآثار ج٤: ص ٣١٥، برقم ٧١١٣، تأليف العلامة أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق)، عالم الكتب، الطبعة: الأولى– ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م، وفي لفظ البخاري: " لا تخيروني"، ج٢: ص٨٤٩، كِتَاب الْخُصُومَاتِ ، بَاب ما يُذْكَرُ في الأَشْخَاصِ والملازمة وَالْخُصُومَةِ بين الْمُسْلِمِ واليهودي، برقم ٢٢٨٠.

٣٣– صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة– بيروت– ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، ج٣/ص١٢٤٤، كتاب التفسير، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:(**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**)، برقم ٣٢١٥.

٣٤ – الفسخ: الضعيف الذي ينفسخ عند الشدة. لسان العرب ج٣: ص٤٥. والمراد هنا ما كان من يونس عليه السلام عندما ذهب مغاضباً.

٣٥–مسند أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر،ج٥/ص١٧٨، برقم ٢١٥٨٦.

٣٦–إشارة إلى حديث أعطيت خمسا لم يعطهن سيأتي تخريجه.

العظيم الذي أعطاه الله ومن معجزاته وباهر آياته، ويحتمل اللفظ أن يراد به محمد وغيره ممن عظمت آياته، ويكون الكلام تأكيداً للأول، ويحتمل أن يريد رفع إدريس المكان العلي، ومراتب الأنبياء في السماء فتكون الدرجات في المسافة، ويبقى التفضيل مذكوراً في صدر الآية فقط"[٣٧].

وذكر العلامة ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ فَضَّلنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً) (الإسراء: ٥٥) قوله: "وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تفضلوا بين الأنبياء "فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصبية لا بمقتضى الدليل، فإذا دل الدليل على شيء وجب إتباعه ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولى العزم منهم أفضل وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً) (الأحزاب: ٧)، وفي الشورى في قوله: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) (الشورى: ١٣)، ولا خلاف أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضلهم، ثم بعده إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم السلام على المشهور"[٣٨].

وقال ابن عاشور: "وتفضيل بعض الرسل هو؛ إما بهذا الإخبار المجمل دون أن يسمى المفضول، وعلى هذا يتجه لنا أن نقول محمد أفضل البشر، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تعيين أحد منهم في قصة موسى ويونس، وإما أن يكون التفضيل مقسماً فيهم أعطيه ذا التكليم، ... ومحمد الخمس، وعيسى الإحياء فكلهم مفضول على وجه فاضل على الإطلاق"[٣٩].

وهناك مجالات أخرى ذكرتها النصوص في تفضيل بعض الأنبياء من ذلك:

اجتباء للنبوة والملك معاً كيوسف عليه السلام قال تعالى: (وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ

[٣٧]–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية– لبنان – ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م،الطبعة: الأولى، ج١:ص٣٣٨– ٣٣٩.

[٣٨]–تفسير القرآن العظيم، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبي الفداء، دار النشر: دار الفكر– بيروت – ١٤٠١،ج٣:ص٤٧.

[٣٩]-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيزج٣:ص٤٦٤– ٤٦٥.

إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـحَاقَ إِنَّ رَبَّـكَ عَلِـيمٌ حَكِـيمٌ) (يوسـف: ٦). والاجتبـاء هنـا:" للنبـوة والملـك، أو لأمـور عظـام، والاجتبـاء مـن جبيـت الشـيء إذا حصـلته لنفسـك"[٤٠]، قـال العلامـة الآلوسـي: "وذكـر بعضـهم أن اجتبـاء الله تعـالى العبـد تخصيصـه إيـاه بفـيض إلهيـي تحصـل منـه أنـواع مـن المكرمـات بلاسـعي مـن العبـد وذلـك مخـتص بالأنبيـاء علـيهم السـلام، ومـن يقـاربهم مـن الصديقين، والشهداء، والصالحين، والمشار إليه بذلك"[٤١].

الاصطفاء بالكلام:

أمـا الاصـطفاء بـالكلام كمـا فـي موسـى عليـه السـلام قـال تعـالى: (قَـالَ يَـا مُوسَـى إِنِّـي اصْـطَفَيْتُكَ عَلَـى النَّـاسِ بِرِسَـالاَتِي وَبِكَلاَمِـي) (الأعـراف: ١٤٤) أي: "وبتكليمـي إيـاك بغيـر واسـطة"[٤٢]. وأضـاف العلامـة القرطبـي معنـاً آخـر فقـال: "الاصـطفاء الاجتبـاء أي: فضـلتك، ولـم يقـل علـى الخلـق؛ لأن مـن هـذا الاصـطفاء أنـه كلمـه، وقـد كلـم الملائكـة وأرسـله وأرسـل غيره؛ فالمراد على الناس المرسل إليهم"[٤٣].

الاتخـــاذ بالخلـــة: فقـد جـاء فـي الحـديث أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قـال: "إنـي أَبْـرَأُ إلـى اللَّـهِ أَنْ يَكُـونَ لـي مِـنْكُمْ خَلِـيلٌ فـإن اللَّـهَ تَعَـالَى قـد اتَّخَـذَنِي خَلِـيلاً كمـا اتَّخَـذَ إبـراهيم خَلِيلاً وَلَوْ كنت مُتَّخِذًا من أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا"[٤٤].

ومعنـى: "أبـرأ" أي: "أمتنـع مـن هـذا وأنكـره"[٤٥]، ومعنـى الخليـل أي هـو: "المنقطـع إليـه، وقيـل: المخـتص بشـيء دون غيـره، وقيـل: هـو مشـتق مـن الخلـة بفـتح الخـاء وهـي الحاجـة، وقيـل: مـن الخلـة بضـم الخـاء وهـي تخلـل المـودة فـي القلـب؛ فنفـى صـلى الله عليـه وسـلم أن تكون حاجته وانقطاعه إلى غير الله تعالى وقيل: الخليل من لا يتسمع القلب لغيره"[٤٦].

واصـطفاء الله تعـالى لنبيـه صـل الله عليـه وسـلم فـي أمـور كثيـرة جـدا منهـا مـا جـاء فـي حـديث وَاثِلَـةَ بـن الأَسْـقَعِ رضـي الله عنـه أنـه قـال: سـمعت رَسُـولَ اللَّـهِ صـلى الله عليـه وسـلم

٤٠–تفسير البيضاوي ج٣:ص٢٧٤.

٤١–روح المعاني ج١٢:ص١٨٥.

٤٢–إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج٣:ص٢٧٠.

٤٣–الجامع لأحكام القرآن ج٧:ص٢٨٠.

٤٤–صحيح مسلم ج١:ص٣٧٧، كتاب المساجد، بَاب النَّهْيِ عن بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ على الْقُبُورِ برقم٥٣٢.

٤٥–شرح النووي على صحيح مسلم، تأليف: أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت – ١٣٩٢،الطبعة: الطبعة الثانية،ج٥: ص١٣.

٤٦–المصدر السابق ج٥: ص١٣.

يقول: "إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ من وَلَدِ إسماعيل، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا من كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى من قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي من بَنِي هَاشِمٍ"[٤٧]، وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم: "أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يوم الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ من يَنْشَقُّ عنه الْقَبْرُ، وأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"[٤٨].

وكذلك جاء في حديث جَابِرُ بن عبد اللَّـهِ أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي؛ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لي الْمَغَانِمُ ولم تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكان النبي يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى الناس عَامَّةً"[٤٩]. وغيره من الأحاديث التي قد تفضله في خصيصة أو معجزة دون غيره من الأنبياء.

ومن تفضيل الأنبياء اصطفاءهم بأن جعلهم قدوات للناس لقد أمر الله عز وجل في القرآن الكريم عز وجل أن نقتدي بالأنبياء وهذه مزية أخرى تضاف لمزاياهم السابقة، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ)(الممتحنة: ٤) ثم ذكر تعالى: بماذا يكون الاقتداء فقال تعالى: (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) (الممتحنة:٤).

وقال تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّـهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّـهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّـهَ كَثِيراً) (الأحزاب: ٢١). فجعل الاقتداء به صلى الله عليه وسلم سبيلا وحيدا لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر. ثم ذكر تعالى عن الأنبياء جميعا بعد ذكر أسماءهم في سورة الأنعام قال تعالى: (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّـهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (الأنعام:٩٠).

المجال الخامس: الاصطفاء والاجتباء بالهداية:

ومن مجالات الاصطفاء والتفضيل التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية الاجتباء بالهدية كما قال تعالى: (اللَّـهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) (الشورى:١٣). والاجتباء

[٤٧]-صحيح مسلم ج٤: ص١٧٨٢ برقم ٢٢٧٦، كتاب الفضائل، بَاب فَضْلِ نَسَبِ النبي صلى الله عليه وسلم.

[٤٨]-صحيح مسلم ج٤:ص١٧٨٢ برقم ٢٢٧٧، كتاب الفضائل، بَاب تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا ﷺ **على جَمِيعِ الْخَلَائِقِ**.

[٤٩]-صحيح البخاري ج١:ص١٢٨، كِتَاب التَّيَمُّمِ، باب: قول اللَّهِ تَعَالَى: "فلم تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا.." برقم ٣٢٨

هنا: الاختيار أي: "يختار للتوحيد من يشاء"[٥٠]. قال ابن كثير: "أي هو الذي يقدر الهداية لمن يستحقها، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد"[٥١].

وبين في مواضع أخرى أنوعًا لمن يوفقهم الله تعالى للهداية، وسبب استحقاقهم لها كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) (يونس:٩)، فالإيمان سبب لاستحقاقهم الهداية. وقال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت: ٦٩). فالمجاهدة في العمل الصالح سبب لهداية الله تعالى. وغير ذلك من الأعمال في هذا الباب.

المجال السادس: التفضيل والاصطفاء من خلال الطبائع والصفات والأخلاق:

ومن مجالات الاصطفاء والتفضيل التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية: الاصطفاء بالعلم والأخلاق والطبائع فمن العلم والطبيعة الجسدية ما جاء في قوله تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُواْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة : ٢٤٧). فكان اصطفاء الله تعالى لطالوت للملك دونهم بسبب العلم والجسم.

وأما الاصطفاء والتفضيل بالأخلاق من ذلك ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قسّم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه"[٥٢].

وكما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشَجِّ عبد القيس: "إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ"[٥٣]، وفي زيادة عند أحمد "قلت: أَقَدِيماً كان في أَمْ حَدِيثاً ؟ قال: بَلْ قَدِيماً. قلت: الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي جبلني على خُلُّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا"[٥٤] والأناة: "بفتح

---

[٥٠]–الجامع لأحكام القرآن ج١٦:ص١٢.

[٥١]-تفسير القرآن العظيم ج٤:ص١١٠.

[٥٢]–مسند أحمد بن حنبل ج١:ص ٣٨٧.

[٥٣]–صحيح مسلم ج١:ص٤٨، برقم ١٧، كتاب الإيمان، بَاب الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ

[٥٤]-مسند أحمد بن حنبل ج٤:ص٢٠٥.

الهمزة على وزن نواة، وهي اسم من التأني، فقيل: معناه الوقار، والتثبت، وقيل: الثبات في الطاعات، وقيل: المراد جودة نظره في العواقب"[٥٥].

المجال السابع: التفضيل والاصطفاء في الجنس:

ومن مجالات الاصطفاء والتفضيل التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية ما جاء من تفضيل الرجال في خصلة القوامة كما قال تعالى (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً) (النساء: ٣٤). فهذه الآية تعطي "للرجل فضل على المرأة بحق القوامة"[٥٦] فالرجال:" أهل قيام على نسائهم، في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم"[٥٧] وأما قوله تعالى: (بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)، يعني: "بما فضّل الله به الرجال على أزواجهم: من سَوْقهم إليهنّ مهورهن، وإنفاقهم عليهنّ أموالهم، وكفايتهم إياهن مُؤَنهنّ. وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى إياهم عليهنّ، ولذلك صارُوا قوّامًا عليهن، نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهن"[٥٨].

وأما ما يتعلق بالنساء فمنها ما جاء في فضل مريم ابنة عمران كما قال تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ) (آل عمران: ٤٢)، واصطفاء مريم عليها السلام كان من جهتين"الاصطفاء الأول: يرجع إلى الصفات الحميدة، والأفعال السديدة، والاصطفاء الثاني: يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين؛ إما على عالمي زمانها، أو مطلقا"[٥٩].

وورد في الحديث أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أضاف في الأفضلية إلى مريم خديجة رضي الله عنها فقال: "خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ

٥٥-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م،الطبعة: الأولى، ج٩:ص٢٥٤.

٥٦جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جري ،أبي جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاك، دار النشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ج٨ :ص٢٩٠.

٥٧جامع البيان في تأويل القرآن ج٨ :ص٢٩٠.

٥٨–جامع البيان في تأويل القرآن ج٨ :ص٢٩٠.

٥٩-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ج١:ص١٣٠.

خُوَيْلِدٍ. وَأَشَارَ وَكِيعٌ: إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"[٦٠].أي: خير نساء الدنيا، وهو المقصود وأشار وكيع إلى السماء والأرض.

وجاء في أفضلية عائشة رضي الله عنها وآسية امرأة أن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "كَمَلَ مِن الرِّجَالِ كَثِيرٌ، ولم يَكْمُلْ من النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ على النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ على سَائِرِ الطَّعَامِ"[٦١]. والكمال: "يطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه، والمراد هنا: التناهي في جميع الفضائل وخصال البر والتقوى"[٦٢].

المجال الثامن: التفضيل والاصطفاء من خلال الأرزاق والعطايا:

ومن مجالات الاصطفاء والتفضيل التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية الاصطفاء الأرزاق والعطايا: كما قال تعالى: (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ) (النحل: ٧١). بل أمر الله تعالى نبيه صلى الله وسلم بالاعتبار والنظر في هذا التفضيل ومقارنته بما سيكون في القيامة قال تعالى: (انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) (الإسراء: ٢١). وفضلنا في الآية أي: "في الدنيا؛ فمنهم الغني والفقير، وبين ذلك، ومن يموت صغيرا، ومن يعمر حتى يبقى شيخا كبيرا، وبين ذلك"[٦٣].

وقد يختلف الرزق من شخص لآخر، فقد يفضل إنسان بالمال، وآخر بالملك، وآخر بالأولاد وهكذا.

فمن المال ما جاء في قصة قارون في الحديث عن الطائفة التي اغترت بماله فبعد هلاكه قال تعالى حاكيا عنهم: (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (القصص: ٨٢). قال النسفي: " قال سيبويه: ويكأن: كلمة تنبه على الخطأ وتندم، يستعملها النادم بإظهار ندامته، يعني أن القوم تنبهوا على خطئهم في تمنيهم، وقولهم يا ليت لنا مثلما أوتي قارون وتندموا"[٦٤]. أما قوله يبسط ويقدر فيكون" لكل واحد

٦٠-صحيح مسلم ج٤:ص١٨٨٦، برقم ٢٤٣٠، بَاب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله تَعَالَى عنها.

٦١-صحيح مسلم ج٤: ص١٨٨٦،برقم ٢٤٣١، بَاب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله تَعَالَى عنها.

٦٢-شرح النووي على صحيح مسلم ج١٥/ص١٩٨.

٦٣-تفسير القرآن العظيم ج٣:ص٣٥.

٦٤-تفسير النسفي ج٣:ص٢٤٨

من البسط والقدر بمحض مشيئته، لا لكرامة توجب البسط، ولا لهو ان يقتضى القبض"[٦٥].

وأما الملك قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران:٢٦).

ومن الأولاد والذرية كما قال تعالى: (لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (الشورى٤٩-٥٠).

فتدل هذا الآية كما قال العلامة بن عطية: "على القدرة والملك المحيط بالجميع، وأن مشيئته تبارك وتعالى نافذة في جميع خلقه، وف يكل أمرهم، وهذا لا مدخل لصنم فيه؛ فإن الذي يخلق ما يشاء ويخترع فإنما هو الله تبارك وتعالى، وهو الذي يقسم الخلق فيهب الإناث لمن يشاء أي يجعل بنيه نساء، ويهب الذكور لمن يشاء على هذا الحد، أو ينوعهم مرة يهب ذكر أو يهب أنثى"[٦٦].

المجال التاسع: التفضيل والاصطفاء بالعمل الصالح منها:

ومن مجالات الاصطفاء والتفضيل التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية التفاضل بين الناس بالعمل الصالح:

فقد بين القرآن الكريم أن بين المؤمنين فقط تفاضل وبين المؤمنين وغيرهم تفاضل كذلك، وكلها ترجع لأثر العمل الصالح فيها.

فأما التفاضل بين المؤمنين فقط: التفاضل بين تحقيق الإيمان ونوافل الأعمال كما قال تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (التوبة: ١٩). ومن التفاضل بين المؤمنين التفاضل في الإنفاق والجهاد قبل الفتح وبعده كما قال تعالى: (لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (الحديد: ١٠).

---

[٦٥]-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،ج٧:ص٢٧.

٦٦-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٥:ص٤٣.

ومن التفاضل كذلك: تفضيل المجاهدين على القاعدين قال تعالى: (لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً) (النساء:٩٥).

وأما التفاضل بين المؤمنين وغيرهم فكتفضيل المؤمن على المفسد كما قال تعالى: (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (ص٢٨).

وتفضيل المؤمن على العاصي قال تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ) (الجاثية: ٢١). وتفضيل المسلم على المجرم قال تعالى: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) (القلم: ٣٥).

المجال العاشر: الفضل في محبة الله وولايته وقربه ونصره ودفاعه وغيرها من كرامات الدنيا:

ومن مجالات الاصطفاء والتفضيل التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية وهي من أعظمها وأفضله اجتباء أناس لمحبته تعالى، وولايته، وقربه، ونصرته، ودفاعه؛ فمن المحبة قوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) (المائدة: ٥٤). وأما الولاية فقال تعالى: (اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ) (البقرة: ٢٥٧). وأما القرب من الله عز وجل فقال تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ) (البقرة: ١٨٦)، وقوله تعالى: (إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف: ٥٦).

وأما فضيلة النصر من الله عز وجل قال تعالى: (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) (غافر:٥١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد: ٧). وأما الدفاع فيقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) (الحج: ٣٨).

وقد حدد هذه الآيات أسباب التي نال من أجلها هؤلاء الناس هذه الفضائل والمزايا وكله تعود للإيمان والعمل الصالح.

المجال الحادي عشر: التفضيل في الجنة ودرجاتها:

ومن مجالات الاصطفاء والتفضيل التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية، ما يكون من إدخال المؤمنين الجنة فضلا منه سبحانه وتعالى، وهذه أرفع المجالات، وأشرفها، وإن كان للعمل الصالح فيه نوع سبب إلا أن الجنة أعظم من العمل، كما قال تعالى: (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد:٢١). وقال تبارك وتعالى: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً) (الأحزاب: ٤٧). ويتفاوت أهل الجنة بالفضل على قدر أعمالهم في الدنيا، كما جاء في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رض الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ من فَوْقِهِمْ كما تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ من الْأُفُقِ من الْمَشْرِقِ أو الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ ما بَيْنَهُمْ قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟. قال. "بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بيده رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ"[٦٧].

ومن خلال ما سبق يستخلص الباحث أن الاصطفاء والفضل من الله تعالى بين الناس يختلف من إنسان لآخر، فقد يفضل إنسان بالعلم، وآخر بالنبوة، ومثله في المال، أو التوفيق للعمل الصالح، وكذلك الجزاء في الآخرة، اختيارا من الله تعالى، منها ما تكون لعلة يقتضيه التفضيل، أو لغير علة، وللعقيدة الإسلامية منهجيتها في فلسفتها، وفي المطلب التالي سيتم توضح هذه المنهجية.

المطلب الثالث: منهج العقيدة الإسلامية في فلسفة التفضيل والاصطفاء:

لقد كان للعقيدة الإسلامية منهجاً واضحاً في فلسفته للتفضيل والاصطفاء الواقع بين البشر، ويعتبر منهجا واقعيا، وحكيما، وبيان ذلك في النقاط التالية:

أولا: تنظر العقيدة الإسلامية إلى أن الأصل بين البشر هو التساوي بينهم جميعا فلا فرق بين ذكر وأنثى ولا غني ولا فقير؛ لأن أصلهم واحد كما قال تعالى: (فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ) (الحج:٥). أي: "أصل برئه لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام"[٦٨] والأب واحد كما في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا أَيُّهَا الناس أَلاَ إِنَّ

[٦٧]–صحيح مسلم ج٤:ص٢١٧٧، كِتَاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَاب تَرَائِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَهْلَ الْغُرَفِ، برقم ٢٨٣١

[٦٨]–تفسير القرآن العظيم ج٣:ص٢٠٧.

رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ إلا لاَ فَضْلَ لعربي على أعجمي وَلاَ لعجمي على عربي وَلاَ لأَحْمَرَ على أَسْوَد ٍوَلاَ أَسْوَدَ على أَحْمَرَ إلاَّ بِالتَّقْوَى"[٦٩].

وأما ما كان من اختلاف الأنساب بين الناس، فقد بينت العقيدة الإسلامية الحكمة منه في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) (الحجرات: ١٣). قال ابن كثير: "فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهم السلام سواء...ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضا منبها على تساويهم في البشرية والعلة في الاختلاف هي: "لتعارفوا: أي: ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته"[٧٠]. فلا يكون هذا الخلاف سببا للاستعلاء والتكبر على الخلق قال أبو السعود: "فلا يعتزى أحد إلى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب"[٧١]. ويؤيد هذا المعنى ما جاء في حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ عز وجل قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ من تُرَابٍ لَيَدَعَنَّ رِجَالٌ فَخْرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إنما هُمْ فَحْمٌ من فَحْمِ جَهَنَّمَ أو لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ على اللَّهِ من الْجِعْلَانِ التي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتِنَ"[٧٢]، قال العلامة المناوي رحمه الله: "الجعلان دويبة سوداء قوتها الغائط، فإن شمت ريحا طيبة ماتت"[٧٣]، ثم قال رحمه اله تعالى: "فليحذر كل عاقل من الاتكال على شرف نفسه، وفضيلة آبائه، فإن ذلك يورث النقص والانحطاط عن معالمهم، فنهايته الحسرة والندامة، وغايته العداوة، إذ كل يظهر مثالب الآخر، ويثبت مفاخر نفسه، فيؤدي لذلك، فلا ينبغي لعاقل الإعجاب بنفسه"[٧٤].

---

[٦٩]–مسند أحمد بن حنبل، ج٥:ص٤١١، برقم ٢٣٥٣٦.قال الشيخ شعيب الأرناؤوط :إسناده صحيح.

[٧٠]–تفسير القرآن العظيم ج٤:ص٢١٨.

[٧١]–إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج٨:ص١٢٣.

[٧٢]–سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبي داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار النشر: دار الفكر، ج٤:ص٣٣١ برقم ٥١١٦، بَاب في النَّفَاخُرِ بِالأَحْسَابِ.

[٧٣]–فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٥٦هـ،الطبعة: الأولى،ج٥: ص٣٧.

[٧٤]–المصدر السابق ج٥:ص٣٧.

ثانيًا: أن العقيدة الإسلامية اعتبرت التفاضل الدافع للتنافس والغبطة هو ما يتعلق بالعمل الصالح.

والدليل على ذلك ما جاء في قوله تعالى: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣)، فمحل الفخر الحقيقي هو طاعة الله ورسوله فكأن الله تعالى قال: "إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى"[٧٥].

وجاء في حديث أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنّ اللَّهَ لايَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"[٧٦].

وكما لا يستوي المؤمنون في مراتبهم فمنهم السابق، ومنهم المقتصد، ومنهم الظالم لنفسه كما قال تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (فاطر:٣٢)، فكذلك لا يستوي المؤمن، والكافر كما قال تعالى: (لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) (الحشر: ٢٠).

ثالثًا: أن الله هو المصطفي والمتفضل ويؤتي فضله من يشاء من عباده:

كذلك بينت العقيدة الإسلامية أن الله عز وجل هو المتفضل سبحانه، وأنه يؤتي فضله من يشاء من عباده كما قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (آلعمران: ٧٣). أي "الأمور كلها تحت تصرفه، وهو المعطي المانع، يمن على من يشاء؛ بالإيمان، والعلم، والتصرف التام، ويضل من يشاء؛ فيعمي بصره، وبصيرته، ويختم على قلبه وسمعه، ويجعل على بصره غشاوة، وله الحجة التامة والحكمة البالغة"[٧٧]، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (آل عمران:٧٤).

---

[٧٥]–إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج٨:ص١٢٣.

[٧٦]–صحيح مسلمج٤: ص١٩٨٧، كتاب كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ برقم ٢٥٦٤.

[٧٧]–تفسير القرآن العظيم ج١: ص٣٧٤

رابعاً: أن الاصطفاء والتفضيل قائم على أسباب معلومة وغير معلومة.

فمن الأسباب التي لا نعلمها ما جاء في جواب الله عز وجل على استفسار الملائكة في خلق خليفة في الأرض قال تعالى: (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (البقرة:٣٠)، قال العلامة أبو السعود: "ليس المراد بيان أنه تعالى يعلم مالا يعلمونه من الأشياء كائناً ما كان؛ فإن ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا إلى التنبيه عليه، لا سيما بطريق التوكيد؛ بل بيان أن فيه عليه الصلاة والسلام معاني مستدعية لاستخلافه، إذ هو الذي خفي عليهم، وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد،... والمعنى إني أعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه"[٧٨]. ومنه ما جاء في قوله تعالى: (وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ) (آل عمران: ١٧٩).

ومن الأسباب المعلومة ما يكون لأجل الاقتداء كما قال تعالى في سورة الأنعام بعد ذكر الأنبياء: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) (الأنعام:٩٠) فمن حكم تفضيل الأنبياء واصطفائهم لأجل الاقتداء.

ومنها ما يكون لإظهار كمال القدرة والعلم لله عز وجل: كما قال تعالى في خلق الذكور والإناث: (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (الشورى: ٥٠).

ومنه ما يكون لجعل بعض الناس مسخرين لبعض قال تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (الزخرف:٣٢). أي: "فيسخر الأغنياء بأموالهم للفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبباً لمعاش هذا بما له، وهذا بأعماله، فيلتئم قوام أمر العالم"[٧٩].

خامساً: أن الاصطفاء والاختيار منه ما هو نعمة من الله تعالى، ومنه ما هو داخل تحت البلاء.

فما كان داخلاً تحت البلاء قوله تعالى: (فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) (الفجر١٥-١٦) قال ابن كثير: "يقول تعالى منكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في

[٧٨]-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ج١:ص٨٣

[٧٩]-تفسير البغوي ج٤:ص١٣٨. بتصرف.

الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكراما له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ* نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ) (المؤمنون:٥٥- ٥٦)، وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له كما قال تعالى: "كلا" أي: ليس الأمر كما زعم لا في هذا، ولا في هذا فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق على من يحب ومن لا يحب، وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالتين إذا كان غنياً بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيراً بأن يصبر"[٨٠].

ويتفاوت البلاء من شخص لآخر فقد ذكر الرازي في تفسر قوله تعالى:(وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ) (النحل:٧١) قال البغوي: "بسط عن واحد وضيق على الآخر وقلل وكثر"[٨١]. والبلاء الوارد في الآية السابقة يبينه العلامة الرازي بقوله: "اعلم أن هذا اعتبار حال أخرى من أحوال الإنسان، وذلك أنا نرى أكيس الناس، وأكثرهم عقلاً، وفهماً يفني عمره في طلب القدر القليل من الدنيا، ولا يتيسر له ذلك، ونرى أجهل الخلق، وأقلهم عقلاً، وفهماً تنفتح عليه أبواب الدنيا، وكل شيء خطر بباله، ودار في خياله، فإنه يحصل له في الحال، ولو كان السبب جهد الإنسان وعقله لوجب أن يكون الأعقل أفضل في هذه الأحوال، فلما رأينا أن الأعقل أقل نصيباً، وأن الأجهل الأخس أوفر نصيباً، علمنا أن ذلك بسبب قسمة القسّام كما قال تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) (الزخرف: ٣٢) وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق"[٨٢].

ثم قال: "واعلم أن هذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلادة، والحسن والقبح، والعقل والحمق، والصحة والسقم، والاسم الحسن والاسم القبيح، وهذا بحر لا ساحل له"[٨٣].

---

[٨٠]-تفسير القرآن العظيم ج٤:ص٥١٠.

[٨١]-تفسير البغوي ج٣:ص٧٧.

[٨٢]-مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م،الطبعة: الأولى، ج٢٠:ص٦٣.

[٨٣]-المصدر السابق ج٢٠:ص٦٣.

ومن البلاء بالنعم ما صرح به سليمان عليه السلام فيما أنعم الله عليه في قوله تعالى: (قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) (النمل:٤٠).

سادساً: أن العقيدة الإسلامية شرعت أعمالاً تُمكِّن الإنسان أن يكون أفضلاً.

فمن ذلك الدعوة للمسارعة بالعمل الصالح لنيل الجنة التي هي دار فضله كما قال تعالى: (وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمر ١٣٣).

ومنها الأنفاق الذي يؤدي للزيادة والبركة في المال كما قال تعالى: (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (البقرة: ٢٤٥). ومن ذلك الإحسان في العمل المؤدي لمحبة الله كما قال تعالى: (وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥). والتوبة المستحقة لمحبة الله قال تعالى: (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة:٢٢٢)، وتحقيق الإيمان والتقوى لنيل البركة في الرزق قال تعالى: (وَلَوْ أَأَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ) (الأعراف:٩٦). وغير ذلك من الأعمال التي طلب من الإنسان المسارعة والمسابقة في تحقيقها ليبلغ أعلى مراتب الفضل عند الله عز وجل.

سابعاً: أن التفضيل أمر نسبي فلا يعنى صاحبه أنه الأفضل عند الله

ومعنى ذلك أن الإنسان قد ينال نعمة من الله؛ كالغنى، أو الملك، أو الجسم الحسن، ويمنع عنه أخرى، فلا يعني التفضيل في أمر أنه قد فضل بكل شيء، وقد وضح الله عز وجل هذا الأمر في قصة طالوت كما قال تعالى: (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(البقرة : ٢٤٧). فحصولهم على المال لا يعني أنهم يستحقون النبوة.

بل قد يؤتي الله إنساناً ميزة معينةً من جسمٍ حسنٍ أو غيره ويكون في أمر الآخرة في دركات الانحطاط كما قال تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (التين٤-٦).

ثامنًا: أفضلية أمور الدنيا من مال وغيره لا تساوي شيء أمام نعيم التوفيق للعمل الصالح والفوز في الآخرة

نعيم الدنيا لا يساوي شيء أمام فضل الله وهدايته، وأمام نعيم الآخرة ورضوان الله عز وجل، بل الأصل عدم المقارنة بينهما، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس: ٥٨)، أي:" قل أيها الرسول للمؤمنين: ليفرحوا بفضل الله ورحمته بما جاءهم من الهدى ودين الحقّ، فإنه أولى ما يفرحون به"[٨٤].

وأما ما يتعلق بنعيم الجنة وفضلها ما ذكر الله عز وجل من أن نعيمها أعظم النعيم كما قال تعالى: (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة:١٧) أي: "فلا يعلم أحد عظمة ما أخفي الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد"[٨٥]. وفي حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ِصلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مالَا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، و لا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ"[٨٦].

وفي صحيح مسلم من حديث أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: "يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا من أَهْلِ النَّارِ يوم الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَال يابن آدَمَ هل رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هل مَرَّبِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فيقول لا والله يا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الناس بُؤْسًا في الدُّنْيَا من أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الْجَنَّةِ فَيُقَالُ له يا بن آدَمَ هل رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ هل مَرّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فيقول لا والله يا رَبّ ما مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ولا رأيت شِدَّةً قَطُّ" [٨٧].

ويتفاضلون المؤمنون بالدراجات تفاضلا عظيما كما قال تعالى: (وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) (الإسراء:٢١) أي: "ولتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا؛... إن أهل الدرجات يتفاوتون، فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء

---

[٨٤]-التفسير الوسيط، تأليف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر– دمشق، الطبعة: الأولى– ١٤٢٢ هـ ج٢: ص٩٨٣ .

[٨٥]–تفسير القرآن العظيم ج٣:ص٤٦١.

٨٦–صحيح البخاري ج٣:ص١١٨٥، كتاب بدء الخلق، بَاب ما جاء في صِفَةِ الْجَنَّةِ، برقم ٣٠٧٢.

٨٧–صحيح مسلم ج٤: ص٢١٦٢، كتاب الإيمان، بَاب صَبْغِ أَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا في النَّارِ وَصَبْغِ أَشَدِّهِمْ بُؤْسًا في الْجَنَّةِ/ برقم ٢٨٠٧.

والأرض. وفي الحديث: "إن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين، كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء"[٨٨] "[٨٩].

تاسعًا: لا ينبغي التجاوز على فضل الله، وطلبه من غير طريقه أو وضعه في غير محله:

ومن القواعد التي أرستها العقيدة الإسلامية أنه لا ينبغي التجاوز والتعدي على فضل الله عز وجل، وقد وردت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية تحذر من صور التجاوز والتعدي في فضل الله عز وجل فمن ذلك:

طلب العزة والفخر بغير الله والعمل الصالح كالأصنام والأنساب فعن أبي بن كَعْبٍ رضي الله عنه أن رَجُلاً اعْتَزَى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضَّهُ ولم يُكَنِّهِ فَنَظَرَ الْقَوْمُ إليه فقال لِلْقَوْمِ: إني قد أَرَى الذي في أَنْفُسِكُمْ إني لم أَسْتَطِعْ إلا أن أَقُولَ هذا أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَمَرَنَا إذا سَمِعْتُ مْمن يَعْتَزِى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ وَلاَ تَكْنُوا"[٩٠]. قوله:" تعزى: أي: انتسب، "بعزاء الجاهلية:" بفتح العين أي: نسب أهلها، وافتخر بآبائه، وأجداده"[٩١] وأما قوله: "فأعضّوه "فهو: "بتشديد الضاد والمعجمة: من أعضضت الشيء جعلته يعضه، والعضُّ أخذ الشيء بالأسنان أو باللسان"[٩٢]. و"بهن أبيه" "بفتح الهاء وتخفيف النون كناية عن الفرج أي: قولوا له: أعضض بذكر أبيك أو فرجه" ولا تكنوا" بفتح أوّله وضم النون أي: لا تكنوا بذكر الهنُ عن الفرج، بل صرحوا له بآلة أبيه التي كانت سبباً فيه تأديباً وتنكيلاً"[٩٣].

ومنها منع فضل الله عز وجل من أداءه بحقه كما قال تعالى: (فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ) (التوبة:٧٦). قال سيد قطب:"من المنافقين من عاهد اللّه لئن أنعم اللّه عليه ورزقه، ليبذلن الصدقة، وليصلحن العمل. ولكن هذا العهد إنما كان في وقت فقره وعسرته. في وقت الرجاء والطمع؛ فلما أن استجاب اللّه له ورزقه

٨٨-صحيح مسلم ج٤: ص٢١٧٧، كتاب الإيمان، بَاب تَرَائِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَهْلَ الْغُرَفِ كما يُرَى الْكَوْكَبُ في السَّمَاءِ، برقم ٢٨٣١.

٨٩-تفسير القرآن العظيم ج٥: ص٦٣. بتصرف.

٩٠-مسند أحمد بن حنبل ج٥:ص١٣٦.

٩١- مرقاة المفاتيح ج٩/ص١٢٧.

٩٢-المصدر السابق ج٩/ص١٢٧.

٩٣-المصدر السابق ج٩/ص١٢٧. بتصرف يسير.

من فضله نسي عهده، وتنكر لوعده، وأدركه الشح والبخل فقبض يده، وتولى معرضا عن الوفاء بما عاهد؛ فكان هذا النكث بالعهد مع الكذب على اللّه فيه سببا في التمكين للنفاق في قلبه، والموت مع هذا النفاق، ولقاء اللّه به[٩٤]؛ لأن عدم الوفاء بالعهد هي من صفات المنافق، ومثلها قوله عز وجل: (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً) (النساء:٣٧).

ومنها الحسد فيما آتى الله للآخرين من فضله كما قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً) (النساء:٥٤). يعني بذلك: "حسدهم للنبي صلى الله عليه وسلم على ما رزقه الله من النبوة العظيمة، ومنعهم من تصديقهم إياه حسدهم له؛ لكونه من العرب وليس من بني إسرائيل"[٩٥].

ومن ذلك جر الثوب بطراً وخيلاء وتكبراً على الناس فعن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: لا يَنْظُرُ الله إلى من جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ"[٩٦]، وفي صحيح مسلم أن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إلى من يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَرًا"[٩٧]. وفي سنن الترمذي: "يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يوم الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذُّلّ من كل مَكَانٍ فَيُسَاقُونَ إلى سِجْنٍ في جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ من عُصَارَةِ أَهْل النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ"[٩٨]. وطينة الخبال هي: "عصارة أهل النار وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم"[٩٩].

ومنها تمني ما فضل الله بعضهم على بعض والرضا بقسم الله كما قال تعالى: (وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) (النساء: ٣٢).

---

[٩٤]-في ظلال القرآن، تأليف : سيد قطب إبراهيم، دار النشر: دار الشروق القاهرة ج٣: ص١٦٧٨.

[٩٥]-تفسير القرآن العظيم ج٢:ص٣٣٦ .

[٩٦]-صحيح البخاري ج٥:ص٢١٨١

[٩٧]-صحيح مسلم ج٣: ص١٦٥٣، كِتَاب اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ ، بَاب تَحْرِيمِ جَرِّ الثَّوْبِ خُيَلَاءَ برقم ٢٠٨٧

[٩٨]سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار النشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ج٤:ص٦٥٥،باب (٤٧)، برقم ٢٤٩٢، قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

[٩٩]-مرقاة المفاتيح ج٩: ص٣٠١.

ذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أن هذه الآية نزلت في نساءٍ تمنين منازلَ الرجال، وأن يكون لهم ما لهم، فنهى الله عباده عن الأماني الباطلة، وأمرهم أن يسألوه من فضله، إذ كانت الأمانيّ تورِث أهلها الحسد والبغي بغير الحق.[١٠٠]، وقيل: لا يتمنى الرجل فيقول: "ليت لو أن لي مال فلان وأهله!" فنهى الله عن ذلك، ولكن يسأل الله من فضله"[١٠١].

خلاصة المطلب لقد كان منهج العقيدة الإسلامية وفلسفتها للتفاضل والاصطفاء، منهجاً وسطياً معتدلاً، فقد اعتبر أصل الخلقة في التساوي بين الناس فلم يجعل لأحد على الآخر فضل فيه، ثم ميّز الله عز وجل بين الناس بصفات ومؤهلات بعضها لسبب أو لغير سبب، وكل ذلك لحكمٍ أرادها الله عز وجل، ومما ذمته العقيدة الإسلامية بل وعاقبة عليه استخدم فضل الله عز وجل فيما يؤدي إلى التعالي والفخر، وغيرها من الصفات التي تزرع العداوة والبغضاء داخل المجتمع.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١. أن الأفضلية والاصطفاء التي اعتبرتها العقيدة الإسلامية كانت لاعتبارات ومعايير محددة ومعتبرة منها: اجتباء واصطفاء من الله لا على أساس مادي، وإنما يرجع إلى طبيعة التكاليف والمهام الموكلة للإنسان كعمارة الأرض والنبوة. ومنها ما يرجع إلى طبيعة الخلقة البشرية، أو لأجل البلاء وزيادة الامتحان، أو سببه مكافأة وجزاء للعمل كما هو حال المؤمنين في نيل الأجور والثواب لأعمالهم.
٢. أن التفاضل والاصطفاء لم يكن عائقا لبلوغ الكمالات في أمور أخرى قد يبلغها الإنسان فإذا لم ينل النبوة سيجد العمل الصالح، الموفق له للجنة، ومن لم يجد المال قد يجد الذكاء وهكذا.
٣. أن التفاضل والاصطفاء لم تجعله العقيدة الإسلامية سبيلا للفخر واحتقار الآخرين، بل دعت العبد للدوام الشكر حتى لا تزول هذه النعمة أو الفضيلة.

---

[١٠٠]–جامع البيان في تأويل القرآن ج٨ : ص٢٦٠.

[١٠١]-تفسير القرآن العظيم ج٢: ص٢٨٧.

التوصيات:

فيقترح الباحث أن تكون هناك رسالة علميّة موسّعة تتناول الموضوع بشكل أعمق، بحيث يستفيد منها المجتمع، وتسهم في تحقيق التعايش بين أبناءه.

كما يقترح الباحث إنزال مفردات في المناهج الدراسة تعزز معنى المساواة والتعايش الكريم الذي جاءت به العقيدة الإسلامية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تأليف: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- تفسير البغوي، تأليف: الحسين بن مسعود البغوي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ج١ص٢٩٤، بتصرف.
- تفسير البيضاوي، تأليف: عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت.
- تفسير القرآن العظيم ، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠١.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.
- التفسير الوسيط، تأليف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر– دمشق، الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: دار الفكر المعاص ، دار الفكر – بيروت، دمشق – ١٤١٠، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ج ١ص٢١٥.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

- جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار النشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار النشر: دار الشعب - القاهرة، ج١٠: ص٢٩٣.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، دار الكتب العلمية ــ بيروت، سنة الطبع: ١٤١٥ هـ، تحقيق: على عبد البارى عطية.
- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي،shamla.com
- زهرة التفاسير، تأليف: الإمام / محمد أبو زهرة، دار النشر: دار الفكر العربي.
- سنن أبي داود، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت -، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- شرح العقيدة الطحاوية لابن جبرين، shamla.com ، ٣ص٣٣٨ .
- شرح النووي على صحيح مسلم، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢: الطبعة الثانية .
- شرح معاني الآثار، تأليف العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، حققه وقدم له :(محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق)، عالم الكتب، الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م.
- صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- في ظلال القرآن، تأليف : سيد قطب إبراهيم ، دار النشر: دار الشروق ـ القاهرة ج٣ : ص١٦٧٨.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر– ١٣٥٦هـ، الطبعة الأولى.
- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى،ج٩/ص١٧٠.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
- مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ – ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطرح ١ص٥١٧.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: جمال عيتاني.
- مسند أحمد بن حنبل، تأليف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – مصر.
- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات / حامد عبد القادر/ محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.